



معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 2021/11/21

تاريخ القبول: 2022/01/30

Printed ISSN: 2352-989X

Online ISSN: 2602-6856

فلسفة البحث العلمي في مراكز بحث وجامعات العالم الإسلامي

The philosophy of scientific research in the research centers and universities of the Islamic word

ملال سجية

جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة (الجزائر)، s.mellal@univ-alger.dz

الملخص:

لكل منظومة حضارية رؤية فلسفية كونية تعطي الإنسان صبغة معينة، وتحدد الغاية والهدف من الوجود، وتكون بمنزلة الدافع المحرك للفعل والبناء الحضاري، أما إذا كانت إشكالية في الرؤية، فلن يتحرك الإنسان ولن تتطور الأمة برغم توفر الموارد والأدوات والوسائل المادية، ولن ينفعا كذلك استيراد منظومات سياسية أو اقتصادية أو تربوية؛ وإن نجحت عند أمم أخرى، هذه إشكالية كبيرة نتخبط فيها في غياب رؤية واضحة متزنة متلائمة مع مقومات أمتنا الإسلامية ويتجلى هذا الأمر بوضوح في مخرجات البحث العلمي في جامعاتنا، حيث أن العديد من البحوث العلمية لا علاقة لها أصلا بواقع الأمة، فنتج حلولاً عقيمة وغير قابلة للتطبيق أو حلولاً لغير بيئتنا وزمننا واحتياجاتنا.

لذلك فإن النهوض بالبحث العلمي في جامعاتنا يتطلب منا أمرين أساسيين: التأسيس لفلسفة سليمة في منطلقاتها، واضحة في غاياتها، تتناسق مع مقومات الأمة وقيمها، وذلك بالرجوع والبحث في المقاصد الكبرى والمبادئ التي ننتمي إليها، ثم مراجعة المناهج العلمية المتبعة في جامعاتنا بمناهج تعكس خصوصيتنا ورؤيتنا الشاملة للحياة بكل ما فيها.

الكلمات المفتاحية: رؤية كونية، منهج، بحث علمي، فردية.

ABSTRACT

Each civilized system has a universal philosophical vision which gives human a specific character and determines the existence's purpose and goal, in addition it leads to civilized construction. Thus, if this vision is complicated, neither the availability of resources, tools and material nor the importation of successful political, economic and educational systems will give raise to developed humanity and nation despite the fact that it succeeds in other nations. As a consequence to this indistinct disturbed vision that is incompatible with the principles of our Islamic nation, many scientific researches has nothing to do with the actual nation which gives useless and unworkable solutions for our environment, generation and needs.

Therefore, promoting scientific research in our universities requires two main things: The establishment of a philosophy which consists with the fundamentals and the values of our nation developed out of correct principles and clear objectives by returning back and researching in the major purposes, principles, concepts and values to which we belong according to an universal vision of our civilization; Review the scientific methods applied in our universities using programs that corresponds to our features and overall vision of life .

Keywords: universal vision, method, scientific research, individualism.

1. مقدمة:

لكل منظومة حضارية رؤية فلسفية كونية تعطي الإنسان صبغة معينة، وتحدد الغاية والمهدف من الوجود، وتكون بمنزلة الدافع المحرك للفعل والبناء الحضاري؛ وهذه الرؤية هي الفكرة المحركة الدافعة التي إذا اعتنقتها مجموعة ما من الناس نشأ بدفعها وتوجيهها نمط حضاري معين وهذا ما أشار إليه المفكر مالك بن نبي في قوله: (إنَّ حضارة ما هي نتاج فكرة جوهرية تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر الدفعة التي تدخل به التاريخ، ويبنى هذا المجتمع نظامه الفكري طبقاً للنموذج الأصلي لحضارته، إنَّه يتجذّر في محيط ثقافي أصلي يحدد سائر خصائصه التي تميزه عن الثقافات والحضارات الأخرى). (بن نبي، 1989، صفحة 41)

ونقصد بالفكرة الموجهة التي هي عامل أساسي لأي تحضر تلك الرؤية الشاملة في رؤية العالم وتفسير الوجود، وفي تقويم حياة الإنسان، انتهاء بذلك إلى تحديد غاية لهذه الحياة يسعى المجتمع إلى تحقيقها، وذلك بغض النظر عن صحة أو فساد الفكرة أو ضعفها أو قوّتها، (النجار، فقه التحضر الإسلامي، 2006، صفحة 26) فهذه الرؤية الشاملة هي بمثابة الجذور التي تنبثق منها المبادئ والمفاهيم والقيم، التي تحدد طبيعتها، وتمثل مرجعيّتها، والغايات والمقاصد الكبرى التي تعمل على تحقيقها، والتي يجب أن تنعكس بانضباط وبأسلوب علمي مقنع على بنيتها، ثم على استخداماتها ومخرجاتها، فأبي سلوك أو نشاط بشري يقوم به الفرد أو يسود الجماعة في مجتمع ما؛ يتم فهمه في ضوء رؤية كليّة شاملة تحكمه وتشكله وهذا ما أشار إليه المفكر علي شريعتي في قوله: (أن الصورة المنعكسة في أذهاننا عن الوجود لها تأثير مباشر في عملنا وسلوكنا الاجتماعي وحياتنا الفردية والاجتماعية، أي أن كل شخص يعيش وفق رؤيته للكون). (شريعتي، صفحة 29)

والتقدم الحضاري الحاصل في العالم الغربي اليوم يعكس خصائص المجتمعات الغربية بكل ما فيها، فهو يعبر عن الرؤية الشاملة التي يصطبغ بها، من خصائص دينية و مجتمعية وحياتية، بما في ذلك ما يتعلق بالإله وكيف يفهمه الإنسان وكيف يفهم اختصاصاته، وما يتعلق بالإنسان ومنافعه وغاياته، وما يتعلق بالمجتمع من حيث هو ومن حيث هو الآخر وما يتعلق بعلاقة الإنسان بالكون، فالحضارة الغربية تحمل كل هذه العناصر، التي قدمها الإنسان الغربي بخصائص دينه وذاته، لذلك فإن انبهار بعض مثقفي الأمة بالنموذج الغربي القادر المنتصر، بسبب إنجازاته العلمية المادية، إلى جانب سيطرت روح التلقي والمحاكاة للحضارة الغربية، جعلهم يتبنون بوعي وبدون وعي مخرجات الفكر الغربي بما يحمل في طياته من رؤية للحياة والكون، ومع كل الانبهار والتقليد والمتابعة لأوروبا والغرب في كل وجوه الحياة المدنية وغير المدنية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها، لم تنته إلا إلى محاكاة قاصرة شكلية وإلا إلى مزيد من التخلف والقصور والمعاناة والمظالم، وإلا إلى اتساع الهوة بين عالمنا وعالمهم (باشا وآخرون، 2010، صفحة 15)، وبعد سنوات من التقليد والمحاكاة الفاشلة أصبح واضحاً أنه مهما توافرت الوسائل فلن يتبدل الحال ولن تستقيم الأمور إذا لم تكن هناك رؤية كونية حضارية تعطي الإنسان المسلم معنى حقيقياً إيجابياً للوجود، وغاية وهدفاً دافعاً لهذا الوجود، تكون بمنزلة المحرك والدافع للفعل والعطاء والحركة البنائية الإصلاحية.

من هنا ندرك أن إشكالية الرؤية التي تحدد الغايات وتوفر الدافع هي الأساس الأول والأكبر لكل فعل وحراك إنساني وحضاري، ومالم تكن هناك رؤية كونية حضارية إيجابية توفر الغاية والدافع فلن يتحرك الإنسان ولن تتطور الأمة

برغم توفر الموارد والأدوات والآلات والوسائل المادية مهما كانت وفيرة ومهما كانت جيدة، ولن ينفعنا كذلك استيراد منظومات سياسية أو اقتصادية أو تربوية أو..... وإن نجحت عند أمم أخرى.

وهذه إشكالية كبيرة نتخبط فيها في غياب رؤية واضحة متزنة متلائمة مع مقومات أمتنا الإسلامية ويتجلى هذا الأمر بوضوح في مخرجات البحث العلمي في جامعاتنا ومراكزنا البحثية، حيث أن العديد من البحوث العلمية لا علاقة لها أصلاً بواقع الأمة، أو تتناقض ومنطلقاتها النظرية، فنتج حلولاً عقيمة وغير قابلة للتطبيق أو حلولاً لغير بيئتنا وزمننا واحتياجاتنا، فتزدى حال الكثير من حملة الشهادات العليا رغم اعتمادهم آليات ومناهج البحث العلمي التي أتت بشمارها في العالم الغربي، لأنه مع افتقارنا الرؤية والدافعية، لم تنفعنا آلياتهم ولا أدواتهم ولا مناهجهم شيئاً لتحريك الأمة ودفعها إلى الفعل والحركة، لأن الفعل والحركة يرجعان إلى الرؤية والغاية والدافع الذي هو الجوهر والحرك، فمن لا رؤية له ولا غاية ولا مقصد فإنه لن يتحرك مهما توافرت له المعلومات والوسائل والآليات، ولن يستفيد منها ولن يحسن استخدامها، مثله مثل الآلة المفككة إلى قطع الغيار، فالبرغم من أن كل جزء منها جيد وصالح في ذاته إلا أنه لن يؤدي مهمته ولن يؤدي أكله، إذا لم يوضع في كيانه الكلي الشامل القادر على الحركة والبناء. (أبو سليمان، 2009، صفحة 25) ومن هنا فإن السؤال المركزي هو:

- ✓ كيف ننهض بالبحث العلمي الذي هو الأساس والأصل في تطورنا وازدهارنا وهو المعول عليه في بناء أمتنا وعزها ومجدها؟ وللإجابة عليه يجب المرور على الأسئلة الفرعية الآتية:
- ✓ إن كان تبني جامعاتنا لمناهج تعليمية مستوردة من الجامعات الغربية لم يأت بالنتيجة المرجوة - برغم توفر الموارد والأدوات والوسائل المادية - بل جعلنا نتخبط في مشاكل عويصة بسبب اختلاف الرؤية الفلسفية الكونية بيننا وبينهم، فما هي رؤيتنا الكونية التي تتماشى وهويتنا الحضارية؟ وما هي خصائصها ومميزاتها؟
- ✓ ما هي مناهج البحث التي توافقت خصوصيتنا الثقافية، وتكون الدافع المحرك للفعل والبناء الحضاري؟ وهل يمكن أن تتقاطع مع مناهج البحث الغربية؟ وكيف ذلك؟

وللإجابة على هذه التساؤلات نقدم الفرضيات الآتية:

- التأسيس لفلسفة سليمة في منطلقاتها واضحة في غاياتها، تتناسق مع مقومات الأمة وقيمتها وذلك بالرجوع والبحث في المقاصد الكبرى والمبادئ والمفاهيم والقيم التي ننتمي إليها وفق رؤية كونية لحضارتنا من خلال القرآن الكريم باعتباره المرجعية الأولى والكبرى لتوجهنا الفكري واستقرارنا النفسي وسلوكنا الحضاري.
- مراجعة المناهج العلمية المتبعة في جامعاتنا بمناهج تعكس خصوصيتنا ورؤيتنا الشاملة للحياة بكل ما فيها، لأن منهجية التفكير ليست في الحقيقة إلا أدوات لتفعيل الرؤية الحضارية الشاملة للأمة، لذلك فإنه لا يمكن للمنهجية وما يتعلق بها من قيم ومفاهيم أن تتسق بنيتها وأن تكون فعالة، إذا لم تبني على رؤية سليمة البنية واضحة الملامح والقسمات والغايات مستقرة في بناء ضمير الأمة، مع الاستفادة من التجارب والخبرات الحضارية البشرية المختلفة التي هي ملك وميراث بشري عام.

تبين مما سبق الوضع الخطير الذي آلت إليه أمتنا وعلى رأسها النخبة من الباحثين والدارسين من مؤسساتنا البحثية والجامعية؛ فهي المسؤولة في النهاية عن طبيعة وقيمة الإنجازات الحضارية وكما يقال؛ فإن كل إناء بما فيه يرشح وينضح، فإذا كانت لديها رؤية سننية شاملة ومتكاملة ومتوازنة، فإنها تعطي إنجازات حضارية متوازنة فاعلة في التاريخ، وإن كانت غير

ذلك؛ فإنها تنتج وتعطي إنجازات متناثرة لا تأثير لها على حركة التاريخ الصاعدة، وتحدُّ من فعالية مدافعتها ومداولتها الحضارية، فهذا هو التحدي الكبير الذي يواجه النخب في جامعاتنا ومراكزنا البحثية، فنقف أمام أسئلة كثيرة وكبيرة تتعلق بكيفية إتمام بناء منظور مرجعي سنني شمولي تكاملي متوازن يستوعب عطاءات التاريخ ويرشد الخبرات البشرية الكامنة فيه، ويتجاوز نواقصه وأخطائه (برغوث، 2018، صفحة 78)، وبهذا نلتمس أسباب العلاج في جذوره الكامنة، وهي الرؤية الكونية الكلية لحضارتنا.

والقرآن الكريم هو المرجعية العليا التي يطمئن القلب والعقل إليها، ويأخذ عنها ويستنبط منها عناصر تحركه الذهني والنفسي والسلوكي، فهو كتاب هداية لأنه يمنح العقل المسلم المهتدي بنوره رؤية كونية ومنظومة شاملة من عناصر التفكير المنهجي التي تجعله قادراً على تفسير وتقويم كل ما يصل إليه من معرفة كونية أو وجودية، والتقويم يكون بإعطاء قيمة لكل المسائل يجعلها مقبولة أو غير مقبولة، واجبة الإتيان أو واجبة الترك وهو الذي يتميز به الباحث المسلم، المرتبط بالقرآن عمن سواه، ونشير هنا أن القرآن الكريم ليس كتاب إدراك للواقع الجزئي أو معرفة للوجود المتعين، إنما هو وحي يضبط هذا الإدراك، ويوجه هذه المعرفة، إضافة إلى أنه يصلح هذا الواقع بإرشادنا إلى التوجه الأقوم والأصلح (باشا و آخرون، 2010، الصفحات 487-489)، وحتى نستنبط القواعد والمبادئ الكونية المبثوثة في القرآن الكريم من أجل تحليل ثم حل الإشكالات السابقة فقد استثمرت المنهج الاستنباطي الاستقرائي قدر الطاقة والإمكان وتتبع الأصول والمبادئ والقيم التي أرشدنا إليها القرآن الكريم ووجهنا للتعامل بها مع قضايا الواقع، وقبل أن نعدد هذه الأصول والمبادئ ونتعرف على أبعادها؛ نبدأ أولاً بالتعرف على الرؤية الكونية لحضارتنا، والتي تنعكس بانضباط وبأسلوب علمي على مناهجنا العلمية، فتتجلى في استخداماتنا لها، وتظهر في مخرجات بحثنا العلمية، وبتعرفنا على جوهر هذه الرؤية وتفعيلنا لها تستعيد الأمة عافيتها ودافعيتها، وتواصل مسيرة حضارتها الروحية القرآنية البنائية الخيرية.

2. الرؤية الكونية الحضارية للأمة الإسلامية

1.2 مفهوم الرؤية الكونية الحضارية:

بداية نؤكد أن هذه الرؤية هي جذور منهجية فكر الأمة الإسلامية والتربة التي تنبت منها مفاهيمها وقيمها، لأنها هي التي تحدد فهم الإنسان فرداً وأمةً وجنساً لذواتهم، وتبين معنى وجودهم والغاية من هذا الوجود، كما تحدد علاقة الإنسان بذاته وبالآخر وبالعالم وبالكون في كل أبعاد هذا الوجود ومآل هذا الوجود، إذن هي القوة الدافعة العقدية التي تحدد طبيعة القوة الوجدانية المحركة للإنسان وللمجتمع، والتي ترسم وجهة مسيرتهم في الحياة وتعطي القوة لهذه المسيرة الإنسانية، والفاعلية الإعمارية الحضارية في الوجود والتاريخ.

ويمكن أن نقول في وصف هذه الرؤية الكونية أنها قرآنية باعتبار المصدر الأول الذي استمدت واستخرجت منه؛ ألا وهو القرآن الكريم، وبالتالي فهي رؤية توحيدية غائية أخلاقية بنائية خيرية حضارية تعبر عن الفطرة الإنسانية السوية، وتتماشى مع مكونات الإنسان الجسدية والروحية، وهي بذلك وبالضرورة رؤية علمية سننية تسخيرية تهدف إلى جعل عناصر الفطرة الإنسانية السوية في بؤرة الوعي الإنساني، لتهدي مسيرة

الحياة الإنسانية، وترشدها، كي يحقق الإنسان ذاته السوية في أبعادها الفردية والاجتماعية ويستجيب في وسطية واعتدال لحاجاتها ومتعتها، على مدى أفق الوجود الإنساني بكل أبعاده الروحية والإبداعية العمرانية، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ رُكِّكَ كَمَا رُكِّبَتْكَ﴾ [النحل، 97].

ولما كانت هذه الرؤية القرآنية هي رؤية كونية سننية بنائية، تعبر عن الفطرة الروحية السوية وترشدها، فهي بالضرورة رؤية تزود الإنسان بالدافعية والطاقة الوجدانية اللازمة لتحقيق إعمار الأرض بالخير في إطاره الزمكاني وبذلك تحقيق الاستخلاف على الأرض الذي هو جوهر وغاية الرؤية الكونية الحضارية.

وهي كذلك رؤية تتميز بالوضوح، وسهولة الفهم والتمثل والإدراك، بعيدة كل البعد عن التناقض والخرافية والأوهام، وبعيدة عن لغة التجريد والتنظير وفرض المسلمات القهرية التي تخفي العجز والتناقض، بل هي قوة ضميرية عقدية تربوية فاعلة محركة للفرد والمجتمع، ومفعلة لمنهجية فكر المجتمع (أبو سليمان، 2009، الصفحات 24-25)، وهكذا فإن الرؤية الكونية القرآنية بناء إيجابية من جهة، ورؤية تحقق دوافع الفطرة الإنسانية السوية التي لا تهنأ النفس الإنسانية الحرة الكريمة إلا بأداء حقوقها وواجباتها.

2.2 أهم مبادئ ومميزات الرؤية الكونية القرآنية:

1.2.2 التوحيد:

إن التوحيد ليس كلمة ينطق بها اللسان، ولا هو مجرد تصور فلسفي لعلاقة الإنسان بالخالق، بل التوحيد مقصد أعلى لا يتحقق في ضمير الإنسان ووجدانه بيقين إذا لم ينعكس على كل جزئية من جزئيات المعرفة، وعلى كل جانب من جوانب التصور والفكر والتطبيق، وعلى مفردات الواقع في جميع مناحي الحياة اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وثقافيا ويظهر أثره على الخلق والسلوك والآداب والفنون وغيرها. (عمارة، 1998، الصفحات 32-33)

لأن التوحيد إذا انعكس على الفكر قومه، وعلى التصور طهره وعلى الاعتقاد صححه ونقاه، وعلى الوجدان حرره من متعلقات الجسد، فالتوحيد مدخل تفسيري لآلاف الظواهر النفسية والسلوكية والمعرفية في مختلف المستويات، والتفسير الذي يقدمه القرآن الكريم يؤدي إلى الفهم العميق لتلك الظواهر، ويُمكن من صياغة الأسئلة المعرفية وتعليم الإنسان طرق الإجابة عليها، كما يمكنه من وضع المقدمات بأدق ما يستطيعه العقل البشري، وقد أطلق القرآن العقل البشري من عقاله بمنهج النظر الذي جاء به، وحرره تحريرا تاما من سلطان الكهانة والسحر والشعوذة، وقاده لمعرفة الطبيعة وغيرها مما يهم الإنسان معرفته، ومنحه الشجاعة التامة والجرأة، والثقة بنفسه من خلال دعوته للعقل بأن يتفكر ويتدبر، ويفقه ويصبر ويعرف ويدرك... ليؤمن عن برهان ويسلم عن يقين، بل ذهب إلى أبعد من ذلك بدمه التقليد الأعمى _تقليد الآباء الأولين_ من غير دراية وتمحيص.

كذلك إذا انعكس التوحيد على السلوك فيعده وعلى الخلق فيحسنه وعلى الحياة فيجعلها حياة طيبة، وعلى نظم الحياة فيجعلها صالحة قائمة على الهدى والحق والعدل والأمانة، ودرب الإنسان على أن لا يخاف اقتحام أقطار السماوات

لكن هذا الشعور الناشئ من الاعتقاد بالوحدة بين الإنسان و الكون، ليس إلا شرطاً ضرورياً للإقبال على الكون في توازن و هدوء، لكنّه غير كاف لإحداث الفعل في الكون على الصعيد الواقعي، إذ لا بد من شعور الرفعة و التفوق حتى ينشأ في نفس الإنسان نزوع إلى الفعل والاستغلال والتسخير، تحقيقاً لهذه الرفعة وهذا التفوق، وهذا النزوع إلى الفعل هو الذي هدفت التعاليم القرآنية إلى تحقيقه، والتي قررت رفعة الإنسان وتكريمه (النجار ، مباحث في منهجية الفكر الإسلامي، 1992، الصفحات 25-26)، تكريم مع عدم احتقار الوجود الكوني الذي ينتمي إليه، ما يكفل للإنسان مقامه وكرامته، ويجعل حياته ومقوماته أكرم من أن تمس في سبيل أية قيمة مادية أخرى، وذلك مع عدم الإخلال بالقيم المادية بالابتداع في هذه المادة (العجمي ، صفحة 101)، فكان الإنسان وسطاً بين الكون والله، يتلقى التعاليم والتوجيهات من الله ليتجه بها إلى الكون منفذاً وعاملاً محققاً بذلك معنى الاستخلاف.

وتعني الخلافة -المهمة الوجودية للإنسان- تنفيذ مراد الله في الأرض، و إجراء أحكامه فيها، ما يعني أن يكون الإنسان سيداً في الكون بحكم المهمة التي كلف بها، فيجعل طاعة الله هدفاً لمسيرته الإنسانية وغاية نهائية، ما يجعل الأهداف المرحلية منضبطة بها وسائرة في فلكها، فلا يغلب الأهداف الجزئية على الأهداف الكلية؛ كالاستحواذ على المال أو السلطة والجاه فيقع في المخذور والمخطور، بل يجعلها أهدافاً جزئية مصبغة بالهدف الكلي (جيدل ، 2001، صفحة 68)، وتكون بذلك حركته على الأرض في كل اتجاهاتها الفردية والجماعية، والمادية والمعنوية؛ حركة عبادة، تحقق مراد الله من خلقه، قال تعالى: **چَکْ لَکْ کُذَّوْ وَوُؤْ وَوُؤْ**، [الأنعام، 162].

1.2.2 العدل و الوسطية:

العدل اسم جامع للوسطية والتسوية، فبالعدل تحدث التسوية بين طرفين أو أكثر بالتزام الموقع الوسط بينها في المعاني والمحسوسات على حد سواء، إذن يطلق العدل على التعيين النظري للحقوق مقسطة بالتسوية، كما يطلق على التنفيذ العملي بوضع كل منهما في موقعه، (النجار، فقه التحضر الإسلامي، 2006، صفحة 112) ويمثل العدل والوسطية السمة والصفة التي تعد أخص ما تختص به الرؤية الإسلامية وتتميز به بين الأديان والمذاهب والفلسفات القديمة منها والحديث، فهذه الخصيصة انطبعت الحضارة الإسلامية في كل القيم والمثل والمعايير والأصول والمعالم والجزئيات، حتى نستطيع أن نقول: إن هذا العدل هو بالنسبة للمنهج الإسلامي؛ عدسته اللامعة لأشعة ضوئه، وزاوية رؤيته كمنهج، وزاوية الرؤية به أيضاً. (عمارة، 1998، صفحة 79)

إذ لو تأملنا التعاليم الإسلامية في أسسها الكبرى لوجدناها تمثل العدل الوسط بين المذاهب والشرائع والفلسفات الأخرى، إذ هذه في أكثرها تمثل حدود متقابلة في تفسير الوجود وتوجيه حياة الإنسان، فتميل إلى جانب على حساب آخر، فتبتعد عن الوسط القوام الذي يقع فيه الإسلام بينهما، ثم يعكس على الأمة الإسلامية بين الأمم إذا حسن تمثلها بالإسلام.

الإنسان في الرؤية القرآنية مكرم في ذاته بمقتضى إنسانيته المطلقة، لقوله تعالى: **كَلَّا كَلَّا إِنَّكَ كَرِيمٌ** [الإسراء، 70]، وهذا التكريم يعني النفاسة والرفعة وعلو الشأن وانتفاء أي معنى من معاني الخسة والذلة والابتذال، وهذا التكريم يلزمنا معاملة الإنسان في كل الظروف معاملة كريمة يمنع فيها امتحان القيمة الإنسانية، لذلك فإن تكريم الإنسان جاء مقصدا من مقاصد الدين.

إنّ هذا التكريم وهذه المكانة والقدرات الاستثنائية المميزة للإنسان عن ما سواه من الكائنات، هي التي تُحمّله في ذات الوقت مسؤولية الاستخلاف والتصرف، وهو يستلزم بالتبعية حقّه في حرية التصرف، وتمكينه من ذلك، في حدود طاقاته وقدراته، وبذلك تكون حرية الأداء هي حقّ الإنسان للتعبير الحرّ عن إرادته وقناعاته في حدود قدراته وإمكاناته وظروفه فردا أو جماعة، فلا يصح لأحد أن يعتدي على هذا الحقّ، فالتكريم لا يكون إلا بحفظ حقوق الإنسان في الاختيار وفي الحرية، بقصد تمكين الإنسان من حمل مسؤوليته في نهاية المطاف، ومحاسبته على ما يصدر عنه من العمل، والحرية نوعان:

حرية شخصية ذاتية تتعلق بضمير الفرد وقناعاته في العقيدة وفي رؤيته الكونية، وهي حقّ ليس لأحد التدخل فيه إملاء أو فرضاً؛ إلا بغرض الدعوة والنصح، وحرية التصرف ضمن المجال الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية الإنسانية، وتبادل المصالح، وهذه الحرية لها حدودها التوافقية بين أعضاء المجتمع، لأن الفرد لا يمكنه أن يوجد أو أن يحقق ذاته إلا في جماعة، فالجماعة تكون مهد وجود الفرد وإطار حركته وحرية، وهي التي تقرر الحدود والضوابط الضرورية السليمة التي تفسح للفرد مجالاته، وتطلق طاقاته وإبداعاته، ولكن بتوازن بين حق الفرد في حرّيته في الحركة، والتصرف مع حق محيطه الاجتماعي ومصالح الجماعة وبقائهما، ولا يتم ذلك إلا بأسلوب توافقي شوري يحقق المصالح ويدرك المفاسد، ويمنع الاستبداد. (أبو سليمان، 2009، الصفحات 127-129)

وهذه الحرية هي التي تسمح للإنسان تحمل المسؤولية، وحمله لأمانة التكليف التي هي رسالة يؤديها في حياته الدنيا، ويسأل عنها في حياته الأخرى، وهكذا تكون حياته دائما موصولة بالله تعالى، فالمسؤولية هي تكليف الإنسان بمهمة في الحياة، بإنجاز الخلافة في الأرض، وهي مهمة تستغرق كل الحياة الدنيا، ثم تمتد إلى الحياة الأخرى بالحساب والجزاء، وهذه العقيدة تشيع في النفس زحما من الهمة والعزم، كما أنّها تشيع فيه الأمل والتفاؤل، إذ ينفسح للمكلف مدى واسع للإيفاء بمهمته المكلف بها، وهي مهمة ليس لها حد تقف عنده، بل هي ارتقاء مستمر نحو الكمال في الأداء إلى آخر الحياة حينما ترد الأمانة بالموت الذي ينته عنده التكليف، ومن ناحية أخرى فإن التكليف ليس له مظهر فردي فحسب، بل له وجه جماعي أيضا يلتف فيه المؤمنون حول بعضهم فينشأ بُعدٌ من الرعاية للآخرين من الناس والمسؤولية عنهم مسؤولية أدبية، (النجار، فقه التحضر الإسلامي، 2006، صفحة 92) فالإنسانية وحدة هو جزء منها يضرها ما يضره وينفعها ما ينفعه، فيسعى في رعايتها ويعمل على خيرها.

5.2.2 القواعد والسنن الكونية:

إن الإرشاد إلى النظر والتدبر في الكون، واكتشاف سننه وقوانينه يعتبر محورا أساسيا تدور عليه الرؤية الكونية القرآنية، لأنّ هذا الكون هو أثر من آثار الله المنظور، كما أنّ الوحي أثر من آثاره المقروء، فهما كتابان لله مقروء ومنظور،

3. مناهج البحث العلمي في إطار الرؤية الكونية القرآنية:

الجوهري وما هو الهامشي، وعليه فالمنهجية هي تعبير عن طريقة تفكير الباحث ورؤيته للعالم، مثلاً إن لم نحدد الأسئلة والمقدمات لأنفسنا حددها لنا الآخر-الغرب- ومن ثمَّ يحدد لنا أجندتنا البحثية، فنجد أنفسنا نطرح أسئلة قد لا تعنينا كثيراً، ونحمل القضايا الأكثر حيوية، بينما لو حددنا الأسئلة وحاورنا الواقع والظواهر من أرضيتنا ورؤيتنا؛ فسنصل إلى إجابات مختلفة اختلافاً جوهرياً عن الرؤية الغربية وعن الحلول التي يطرحونها، ولكنها نابعة من واقعنا، ومن ثمَّ يصبح بوسعنا أن نتعامل مع هذا الواقع ونغيره وننهض به، إذن لابد من تبني رؤية منهجية نابعة من إدراكنا لهويتنا وللابعاد المعرفية والوجودية في تجربتنا، وإلا فسنكتفي بما يقوله الآخرون ونطبقه على أنفسنا؛ فلا يمكن أن نضع حضارة أو نواكب العصر أو نستوعب الإنجازات الفكرية والتقنية، فنسقط في فخ التبعية.(المسيري، 2015، صفحة 225)

وحتى نحقق التحصين الثقافي والتميز الحضاري علينا العودة إلى الجذور والنباتات الأساسية والتمكن من العلوم الأصلية لتراثنا، واستئناف البناء على الأصول الحضارية والثقافية الإسلامية-المبادئ والقيم هي التي تحدد منهاجيتنا- ليأتي التجديد من مواضع صحيحة، ذلك أن افتقارنا للوعي المنهجي يجعلنا ننحرف بالمنهجية ووظيفتها، فالمنهجية في الحقيقة هي المرشد، فإذا كان المنهج هو الطريق الموصل إلى المقصد فإنه يفرض علم الطريق وبيان الوصول، وبقدر صحة منطلقاته وسلامتها يكون الطريق واضحاً وراشداً. (باشا و آخرون، 2010، الصفحات 647-648)

وبعد هذه الفوضى الفكرية التي تسود حياة المسلمين الثقافية، والتي تشكل بحق أزمة في المنهج علينا الإصلاح والتجديد وذلك بالعودة إلى اكتساب المناهج التي قامت عليها حضارتنا بشرط فقه عملية التطبيق، لذلك يجب أن نعي أمرين أساسيين:

أولاً: أن العودة إلى الجذور والنباتات وإلى رؤيتنا الكونية القرآنية لا يعني اجترار الدراسات التقليدية التراثية ، التي سببت بدورها عجزاً فكرياً انتهى بالطلبة إلى الجمود، واجترار القواعد والضوابط والأحكام الحرفية المستمدة من فكر وواقع وممارسات وترتيبات وعلاقات لم يعد لكثير منها وجود في واقع المجتمعات الإسلامية المتأخرة ، فأصبحت تجريدات بعيدة عن الواقع، ومقولات نظرية ومنظومات محفوظة لا تلد فقها ولا تدخل واقعاً(باشا و آخرون، 2010، صفحة 649)، وهو ما نراه اليوم في أوضح صورة في واقع الأمة الإسلامية، وما يواجه من تحديات، فالكثير من الأحكام والفتاوى مثلاً؛ في صورها التطبيقية تمت إلى عصور وأوضاع وواقع وتحديات غير واقع العصر وإمكاناته وتحدياته ، أي أن التراث برغم ما يملكه من مبادئ وقيم سامية، يبقى وليد زمانه وتحدياته، أما اليوم فيمثل فكراً وواقعاً تاريخياً، لا وجود له، ولا شك أن هذه الدراسات ليست مقدسة لذاتها، وإنما تكتسب قيمتها بما تقدمه من نتائج تنعكس حضارياً وثقافياً على حياة الأمة، ومن المؤسف أن الكثير من العلوم لم يبق لها في حياتنا إلا القيمة التاريخية، أما القدرة على الاستفادة من الماضي وصناعة الحضارة، فلا تكاد تذكر، خاصة على مستوى المنهجية.

بينما الدعوة الملحة اليوم هي أن نسقط ثوابت الأمة ورؤيتها الكونية الحضارية على ظروفنا وزمننا لتستجيب لحاجات الأمة وبناء علاقاتها ومؤسساتها الضرورية الفعالة، لمواجهة تحديات عالمها وعصرها، في ضوء إمكاناته وسقوفه المعرفية، وهذه هي الخطوة الإيجابية الأولى التي تشكل جوهر التجديد على المستوى الفكري والمنهجي وتقود إلى الوعي بالأمر الآخر الثاني.

ثانياً: إن اعتبار الحضارة الغربية وعلومها هي المقياس لكل حضارة خلق منهاجية فيها تلفيق، وهذا بدوره يعبر عن إخفاق على المستوى المنهجي ساهم في تكريس التخلف وتنميته، لأن المنهاجية أخطأت جوهر المنهج ذاته، عندما قاست الواقع الحضاري للأمة بغير مقياسه الصحيح، وقومت البناء على غير أسسه، ودرست ظواهره بغير أبعدياته وعناصر خصوصيته، لذلك آن الأوان للمراجعة والمواجهة، وهنا نوضح أمرين أساسيين في تعاملنا مع المناهج الغربية؛ وهو أن الحضارة الغربية تتميز بإيديولوجية ذاتية تمثل الرؤية الكونية الغربية، والتي هي في جوهرها والسمة الغالبة المؤثرة عليها هي رؤية إيديولوجية مادية، لم يعد للدين تأثير ذو وزن على واقع رؤيتها و تعاملها وعلاقاتها، وهذا يتعارض مع رؤيتنا الكونية وهويتنا الحضارية وصادمها.

بينما استفادتنا من الجانب الموضوعي والوضعي، واستفادتنا من الكثير من إبداعات الوسائل والأنظمة والمؤسسات، فهذا أمر طبيعي سنني، فالحضارة الغربية ذاتها ليست إلا امتدادا لحضارات سابقة استفادت من مدارس المسلمين وجامعاتهم وترجمة المعارف والعلوم عنهم ومن احتكاكها مع أمة الإسلام(أبو سليمان، 2009، الصفحات 199-200)، فالمعرفة البشرية تطورت عبر التاريخ فتلاحقت الأفكار بفعل تلاحقها، واستندت الحضارة اللاحقة منها على السابقة، فكلما تضحل حضارة تخلف وراءها إرثا ثقافيا من العادات والأخلاق والفنون، تتلقاها عنها الحضارات التي تأتي من بعدها، كالعذائين في سباق يسلم كل منهم مصباح الحياة إلى غيره،(ديورانت، صفحة 312) لذلك لا بأس أن نستفيد من الفكر الغربي على صعيد الإجراءات الآلية لا على سبيل التأسيس المبدئي القيمي.

2.3. أثر الرؤية الغربية على العالم الإسلامي-الفردية أنموذجا:-

شهدت الحضارة الإنسانية العالمية نموا سريعا وتغيرات هائلة، تقودها الحضارة العالمية الغربية ذات النزوع المادي، كان من نتائجها ظهور ما سمي بالعمولة التي أخذت شكل نظام عالمي جديد تعبر عنه مصطلحات كثيرة التداول مثل: المجتمع الدولي، المنظمات الدولية، الحريات وحقوق الإنسان، حقوق الأقليات..... إلخ، ولم تقف هذه العمولة عند حد أو مجال وإنما اكتسحت كافة مجالات الحياة من اقتصادية وسياسية إلى ثقافية وفكرية وقانونية ودينية، وإذا كان من الإيجابي أن تتوافق الإنسانية على مبادئ وقيم وقوانين مشتركة، فإن الذي حصل-غالبا- ليس هو التوافق الإرادي الذي يأخذ بعين الاعتبار مختلف الثقافات والمرجعيات والأديان بكل ما تحمل من خصوصية حضارية عريقة، بل هو فرض رؤية ومرجعية بعينها على الأمم والشعوب وتهميش رؤى وثقافات أخرى، فلم يغلب على هذا التطور قوة المنطق بقدر ما غلب عليه منطق القوة، ومن صور هذا الفرض تلك القوانين والاتفاقيات الدولية والمنظمات العالمية التي ظهرت في العصر الحديث بمرجعيات فلسفية غربية مادية، فُرِضت على العالم الإسلامي بطرق مباشرة أو غير مباشرة.

من بين المفاهيم المركزية في صلب الحضارة الغربية مفهوم الفردية أو الفردانية (Individualism) ؛ الذي يُعد من المفاهيم المؤسسة للنهضة الغربية، ومن أهم الفتوحات الكبرى للحدثة الغربية(وطفة، 2015، صفحة 829)، وإذا بحثنا في حثيات هذا المفهوم نجده يُعبر عن كل نظرية أو نزعة ترى أنّ الفرد أساس كل حقيقة وجودية،(لاند، الصفحات 657-658) وأنّ غاية المجتمع رعاية مصلحة الفرد والسماح له بتدبير شؤون نفسه وبالتالي تمحورت حول الفرد بالاعتراف بحقوقه المطلقة وحرية واستقلاله عن المجتمع والدولة، حيث أطلقت حرية الفرد التي مكنته من الانطلاق في

عملية البناء الحضاري للإنسانية بعدما تحوّل فيها الإنسان من كائن اجتماعي مُدَوَّب في جماعات تقليدية إلى كائن فرد متفرد يمتلك شروط وجوده وكيونته الفردانية، بما يجعله أكثر قدرة على تحقيق إنجازات خلاقة، والإبداع في مختلف ميادين الحياة (وظفة، 2015، صفحة 830)، وهذا ما ساعد في ظهور التطور العلمي والتكنولوجي الذي نشهده اليوم.

لكن هذا التوجه الفردي وليد الفلسفة المادية، يحمل رؤية كونية أحادية؛ تُوحد الإنسان بالطبيعة وترده كله إلى مبدأ واحد كامن في الكون هو المادة، ومن ثمّ فإنّ العالم المادي لا يشير إلى أي شيء خارجه، فتم إلغاء كل الثنائيات داخله، وضمّنها ثنائية الإنسان والطبيعة، وتمّ تطهيره تماما من المطلقات والقيم، وتم اختزاله كله إلى مستوى واحد يتساوى فيه الإنسان بالطبيعة هو مستوى القانون الطبيعي المادي، (المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، 2000، صفحة 39) محاولة لتصويره قانونا شاملا لتفسير كل الظواهر، بما في ذلك الظاهرة الإنسانية.

وضمن هذا القانون اختزلت ثنائية الجسد والروح إلى مبدأ مادي واحد، ليصبح الإنسان بكل وعيه وفهمه وحسه الخلقي جزءا لا يتجزأ من حركة المادة خاضعا لها (المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، 2000، صفحة 63) غير متعال عليها بأي شكل من الأشكال، تطبق عليه معايير العلوم الطبيعية مثله مثل المادة وبالتالي يصير إنسانا آليا يتحرك في إطار الدوافع والمثيرات، شعاره بسيط؛ هو التقدم العلمي والصناعي والمادي، وتعظيم الإنتاجية المادية وتحقيق معدلات متزايدة من الوفرة والرفاهية والاستهلاك (السعداوي و عزت، 2000، صفحة 302) فلا يدرك الواقع إلا من خلال نماذج كمية، جاعلا الهدف من وجوده هو تحقيق منافع مادية آنية، وقد أدى هذا إلى التعدي على إنسانية الإنسان، فكانت النتيجة مجموعة من التحولات السلبية في عمق الحضارة الغربية أهمها تنامي مظاهر العنف والتدمير والعدوانية والبعد الأناني والترحس للحيوة الإنسانية، ومن ثمّ نمو واتساع العزلة والانطوائية، واللامبالاة التي هيمنت على الحياة في المجتمعات الغربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ففي غمرة التحولات الاجتماعية التي شهدتها المجتمعات الغربية يجري الحديث دائما عن الشيوخ والعجزة الذين يموتون في منازلهم دون أن يعلم بهم أحد، حيث بدأت ظاهرة العنف تفرض نفسها في كل مكان، وبدأت مظاهر الاستهلاك تتزايد بطريقة لا حدود لها، وارتبط ذلك بغياب مستمر ومتواصل للمشاعر الإنسانية الخلاقة التي عرفتها المجتمعات القديمة (وظفة، 2015، الصفحات 829-830).

ومن أخطر مظاهر هذه الرؤية الفردية كذلك - وإن كان شيئا منطقيًا داخل نسقها- اختزالها ثنائية الذكر والأنثى إلى النوع الواحد وهو ما اصطلح عليه بالجندر أو النوع الاجتماعي، بدل مصطلح الجنس الذي يحمل في طياته تمايزا بين الجنسين؛ الرجل والمرأة على نحو ما، أي أنّ الخصائص التي يحملها الرجل والمرأة هي صفات مركبة اجتماعيا، لا علاقة لها بالاختلافات البيولوجية، (نحن لا نولد بنات أو صبيان، إنما يجعلون منا هكذا)، (شوي، 1995، صفحة 11) ما يعني أن المرأة ليست امرأة إلا لأنّ المجتمع أعطاه ذلك الدور وكذلك الرجل، وأنّ (طبيعة المرأة لا تعود لأسباب فطرية، وإنّما إلى حالتها العامة التي يفرضها عليها المجتمع، منذ حدثتها حتى أواخر أيامها)، (دي بوفوار، 2008، صفحة 324) وفي هذا الإطار تبنت مؤسسات وهيئات علمية عديدة الدفاع عن حقوق المرأة، واعتبرتها كائنا مساويا للرجل من جميع الوجوه، لا تختلف عنه في أي شيء، ودورها لا يختلف عن دوره، فدعت إلى إلغاء دور المرأة التقليدي في إطار الجماعة الإنسانية الشاملة التي تضم الذكور والإناث؛ أي في إطار الأسرة، ليصبح كل البشر عبارة عن أفراد لكل واحد منهم مصلحته الخاصة

التي يسعى لتحقيقها، بل أكثر من ذلك دعت هذه المنظمات والهيئات إلى تغيير هياكل الأسرة، فتبنت الدفاع عن الشذوذ الجنسي وزواج المثليين، ودعت إلى تقنينه وتطبيعته باسم الحرية الفردية.

على اعتبار أنّ هذه القوانين والاتفاقيات الدولية ليست إلا النتيجة العملية والحتمية للأفكار والفلسفات الغربية المادية، التي تختلف عن رؤيتنا الكونية من حيث المبدأ والمضمون والمنتهى، وهي في ذات الوقت تؤثر فينا بحكم قانون التفاعل الحضاري وسنن التدافع، وجب علينا حل هذا الإشكال بالحوارة المباشرة للمقولات المعاصرة التي تلغي بشكل أو بآخر مقولاتنا ومبادئنا وإخضاعها للمساءلة والنقد والتحليل، من أجل الرد على ما ورد فيها، لأنها تعطي حلولاً لغير بيتنا واحتياجاتنا وهويتنا، وذلك باستثمار وتفعيل القواعد والمبادئ الكونية القرآنية التي استخرجناها في هذا البحث، فنقوم بما كل ما يصلنا من معارف كونية أو وجودية، ونناقش بها المقولة الغربية ونرد عليها من خلال أنموذج الدراسة وهي: **الفردية**.

أولاً: الفردية في الفكر المادي الغربي توحد الإنسان بالطبيعة، وتخضعه للقانون الطبيعي المادي، فتفسر كل الظاهرة الإنسانية تفسيراً مادياً مختزلة الإنسان في إحدى جوانبه فقط، فكان من الطبيعي؛ ضمن هذه الرؤية أن يسعى الإنسان وراء المنافع المادية والرفاهية والاستهلاك على حساب القيم الإنسانية والاجتماعية، ما نتج عنه أثار وخيمة في العلاقات الإنسانية- كما رأينا سابقاً-، بينما رؤيتنا للحقيقة الإنسانية تختلف تماماً، فالإنسان أعدّ إعداداً خاصاً بسبب المهمة التي من أجلها وجد وهي الخلافة، فعلاقته بالطبيعة تميّزت بالوحدة من جهة والتميز من جهة أخرى، نعم بالوحدة مع الطبيعة في المصدر والأصل التكويني الترابي؛ ليتفاعل معها تفاعلاً إيجابياً ويشعر بالقرب والاستئناس والوفاء، بدل مشاعر الخوف والعداء، فيقبل على الكون ويفتح عليه بتلقائية ويسر، لكنه تميز عن الطبيعة بالرفعة والتكريم، بما يكفل للإنسان مقامه وكرامته، ويجعل حياته ومقوماته أكرم من أن تمس في سبيل أية قيمة مادية أخرى، فلا يُغلب الأهداف الجزئية على الأهداف الكلية، كالاستحواذ على المال والسلطة والجاه، فيقع في المحذور والمحذور، بل يجعلها أهدافاً جزئية مصبغة بالهدف الكلي؛ الذي هو تحقيق مراد الله من خلقه في كل اتجاهاته الفردية والجماعية والمادية والمعنوية.

ثانياً: تضاربت كثير من المذاهب والفلسفات في تفسير حقيقة الإنسان، بين من قالت أنّه ذو بعد روحي فقط، وليس الجسد سوى سجن قدر حُشرت فيه الروح، بالمقابل ذهبت الفردية المادية إلى أنّه ذو بعد مادي، طبقت عليه معايير وقوانين العلوم الطبيعية مثله مثل المادة، فصيرته كآلة يتحرك في إطار الدوافع والمثيرات، بينما تقف الرؤية الإسلامية وسطاً فالإنسان ذو بعدين متوازنين؛ مادي وروحي، له حقيقة مادية واقعية تساعد في الانطلاق لتعمير الأرض واستثمارها، لكن هذا التعمير والاستثمار لا يراد أن لذاتيهما، بل يتجه بهما بجانبه الروحي إلى الوجود الأكمل وهو الله ابتغاء لمرضاته، وبهذا يحقق التوازن المطلوب بين مطالب الجسم المادية ومطالب الروح المعنوية.

ثالثاً: تعتبر مقولة الفردية أنّ الفرد حقيقة أولى وحقيقة عليا، وليس المجتمع سوى صدى للفرد ينبغي أن يكون في خدمته على الإطلاق، فتُغلب حقوق الفرد وحرية واستقلاله على مصلحة المجتمع والدولة، أما مذاهب أخرى فتذهب إلى أنّ المجتمع هو الحقيقة الأولى، فيجب أن يهدر الفرد لفائدة الجماعة، بينما تقف الرؤيا الإسلامية في الوسط فتوازن بين الفرد والمجتمع، حيث يمتد كل منهما إلى الحد الذي يثبت فيه كيانه، وتتحقق فيه مصلحته دون إخلال بمصلحة الآخر، وبهذا الرؤية الوسطية حققت توازناً بين حقوق الفرد وحقوق المجتمع دون إهدار لهذا أو ذاك.

رابعا: ينبهنا القرآن الكريم إلى مبادئ وسنن يخضع لها الكون في تكوينه وطبيعته بحكم مخلوقيته؛ وهي المنهجية التي تعبر عن طريقة تفكيرنا ورؤيتنا للعالم، -حتى لا نضيع ونزيغ في خضم أفكار وفلسفات غريبة عنا-، ومن بين هذه المبادئ؛ مبدأ الزوجية في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُ لِكُلِّ شَيْءٍ زَوْجًا مِثْلَهُ﴾ [الذاريات، 49]، وهذه قاعدة من قواعد الخلق، وناموس من نواميس الوجود، فهي تكشف عن قاعدة الزوجية في خلق الأرض، بل في خلق الكون والوجود، ومنها زوجية الذكر والأنثى التي تكرر ذكرها في القرآن الكريم، لأنها أساسية في تحقيق التكامل الإنساني الفطري، وضرورية لاستقرار واستمرار العلاقات الإنسانية خاصة بين الجنسين، الذكر والأنثى، بينما رأينا أن المقولة الفردية تحتل ثنائية الذكر والأنثى إلى النوع الواحد، وهو ما اصطلاح عليه (الجندر)، وقد ورد هذا المصطلح الذي يحمل نظرة غريبة فردية في علاقة الرجل والمرأة في اتفاقية سيداو؛ اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، سنة: 1979، وهذا ما أدى إلى ظهور تصور جديد للأسرة ولدور المرأة والرجل في المجتمعات الغربية، وهو مناف تماما لرؤيتنا الكونية الشاملة.

4. خاتمة:

يواجه العالم الإسلامي اليوم تحديات كبيرة، تتمثل في الرؤية الغربية، التي فرضت نفسها على العالم ككل لاسيما العالم الإسلامي، وذلك إما بقوة القانون عن طريق منظمات وهيئات علمية بقوانين واتفاقيات دولية، أو عن طريق التدافع الحضاري وسيطرت أفكار الغالب على المغلوب، وانبهار بعض مثقفي الأمة بالنموذج الغربي القادر المنتصر بسبب إنجازاته العلمية المادية، فأدى بنا إلى التقليد والمتابعة لأوروبا والغرب في كل وجوه الحياة المدنية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، واستيراد منظوماتهم ومناهجهم حتى التعليمية منها، لكن هذا التوجه لم يزدنا إلا تخلفا وقصورا ومعاناة، لأنه في الأساس يخالف رؤيتنا وهويتنا الحضارية، ولقد رأينا من خلال هذا البحث بعض نتائج ومآلات الرؤية الغربية الفردية على المجتمع والعلاقات الإنسانية، وهي نتائج تنافي أديبات وأخلاقياتنا الحضارية العريقة.

وللخروج من هذا الإشكال علينا نؤسس لرؤية سليمة المنطلقات واضحة الغايات، متناسقة مع مقومات الأمة وقيمها، ونعوّل في ذلك على مراكزنا البحثية ومؤسساتنا الجامعية، بوضع مناهج تعليمية تعكس خصوصيتنا الثقافية ورؤيتنا الشاملة للكون والحياة، فعلى كل باحثينا أفرادا وهيئات اسقاط ثوابت الأمة ورؤيتها الكونية على ظروفنا وزماننا لتستجيب لحاجات الأمة وبناء علاقاتها ومؤسساتها من جهة، وتواجه تحديات عالمها وعصرها من جهة أخرى.

وفي ضوء ما سبق يمكن أن نلخص بعض التوصيات التي على الطالب والباحث المسلم الالتزام بها وهي:

- ✓ على الباحث المسلم أن يسلح نفسه بالعقلية الشمولية التحليلية العلمية الناقدة المبدعة، ويتحرر من داء التقليد والمتابعة؛ سواء المتابعة العمياء للحضارة الغربية بكل ما تحمله من أفكار وإيديولوجيات، أو الدخول في سجلات تراثنا الإسلامي التي لم يعد من ورائها طائل، ولا علاقة لها بحاضرنا وواقعنا.
- ✓ على الباحث المسلم أن يؤهل نفسه بمعرفة الرؤية القرآنية الكونية الحضارية وقيمها ومفاهيمها ومبادئها وثوابتها، فتكون هذه الرؤية هي الإطار الناظم للوصول إلى الغاية والمقصد.

- ✓ على الباحث المسلم أن يتسلح بمعرفة المنهج العلمي ومعرفة السنن الكونية الكلية بمفرداتها التطبيقية، ويعتمد على دراسة الواقع وطاقاته وإمكاناته في الإطار الزمني.
- ✓ على الباحث المسلم أن لا يكون إقصائياً؛ فيبدأ بداية صفرية، بل عليه أن يستفيد من التراث الإسلامي، وأن يفيد من الإنجازات العلمية المعاصرة الموضوعية، ليواصل بها ارتياد آفاق أسرار النفوس، والكون وإبداع الوسائل والسبل لتمكين الإنسان من الرقي بعالمه، وتحقيق الحياة الطيبة في الدارين.
- ✓ ومما وجدت أنه حلقة مكملة لهذا البحث، وعلى الباحثين أفراداً ومؤسسات الاهتمام به ودراسته، هو المحاورة المباشرة للمقولات والتوجهات المعاصرة، خاصة منها التي تلغي أو تزاحم رويتنا الكونية القرآنية الشاملة، وإخضاعها للمساءلة والنقد والتحليل.

5. قائمة المراجع

القرآن الكريم

- أبو سليمان، ع. أ. (2009). *الرؤية الكونية الحضارية القرآنية*. القاهرة: دار السلام.
- السعداوي، ن. &، عزت، ه. ر. (2000). *المرأة والدين والأخلاق*. دمشق: دار الفكر.
- العجمي، أ. (s.d.). *حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم*. مجلة دعوة الحق، 101، p. 101.
- العلواني، ط. ج. (2010). *معالم في المنهج القرآني*. مصر: دار السلام.
- الغزالي، م. (s.d.). *المحاور الخمسة للقرآن الكريم*. الجزائر: دار المعرفة.
- المبارك، م. (1981). *نظام الإسلام العقيدة والعبادة*. بيروت: دار الفكر.
- المسيري، ع. (2000). *الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان*. دمشق: دار الفكر.
- المسيري، ع. (2015). *الثقافة والمنهج*. دمشق: دار الفكر.
- النجار، ع. (1992). *مباحث في منهجية الفكر الإسلامي*. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- النجار، ع. (1996). *قيمة الإنسان*. الرباط: دار الزيتونة للنشر.
- النجار، ع. (2006). *فقه التحضر الإسلامي*. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- باشا، أ. ف. &، وآخرون. (2010). *المنهجية الإسلامية*. القاهرة: دار السلام.
- برغوث، أ. (2018). *النهضة الحضارية ومركزية شرط الوعي الحضاري فيها*. الجزائر: الأصالة للنشر والتوزيع.
- بزا، ع. (2008). *مصالح الإنسان مقارنة مقاصدية*. فريجينا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

-
- بوكاي , م . (2004). القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم. القاهرة : مكتبة مدبولي .
- جيدل , ع . (2001). ماهية الإنسان وصلتها بحريته ووظيفته الاجتماعية من خلال رسائل النور. اسطنبول : شركة النصر .
- دي يوفوار , س . (2008). الجنس الآخر . ن . حداد (Trad.) , عمان : الأهلية للنشر والتوزيع .
- ديوران , و . و . (s.d.). قصة الحضارة . م . بدران (Trad.) , دار الجيل للنشر والطبع والتوزيع .
- شريعتي , ع . (s.d.). الإنسان والإسلام. بيروت : دار الروضة .
- شوي , أ . (1995). أصل الفروق بين الجنسين) . ي . بوعلي (Trad.) , سوريا : دار الحوار .
- عمارة , م . (1998). معالم المنهج الإسلامي. القاهرة : دار الرشاد .
- غالب , ح . (2003). مدخل جديدة للتفسير. بيروت : دار الهادي .
- لاند , أ . (s.d.). موسوعة لاند الفلسفية .
- مالك بن نبي . (1989). مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي . (بسام بركة، و أحمد شعب، المترجمون) دمشق: دار الفكر.
- وظيفة , ع . أ . (2015). ديسمبر . (14) الإغتراب والأنسنة في مفهوم الفردانية . مركز نقد وتنوير للدراسات الإنسانية , p. 829.